مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (١٠) العدد (٦) ٢٠٢٦
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (10) No. (6) 2026

النّداء في خطبة (الجابية) لعمر بن الخطاب (ر)
"دراسة تداولية وفق نظرية أفعال الكلام"

د. صفوان سلوم*

د. رائد منصور**

(تاريخ الإيداع ١١/١١ /٢٠٢٥. قُبِل للنشر في ٣/١٦ /٢٠٢٦)

□ ملخّص □

تعدُّ خطبة الجابية للخليفة الراشديّ عمر بن الخطاب (ر) منارةً فكريةً ولغويةً تمثل ذروة البلاغة العربية والإسلامية؛ إذ تجسد أسلوبًا خطابيًا فريدًا يجمع بين الفصاحة والحكمة، والتأثير الوجداني والعقلي.

وانطلاقاً ممّا تقدّم، يسعى البحث إلى دراسة أسلوب النداء في خطبة (الجابية) من منظور تداولي، معتمدًا على نظرية أفعال الكلام التي أسسها الفيلسوف جون أوستن وتلميذه جون سيرل، والتي تبحث في كيفية استخدام اللغة لإنجاز أفعال تواصلية في سياقات مختلفة.

كلمات مفتاحية: أفعال الكلام، التداولية، النداء، الجابية.

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة اللاذقية، اللاذقية، سورية.

** أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة اللاذقية، اللاذقية، سورية.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (١٠) العدد (٦) ٢٠٢٦
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (10) No. (6) 2026

The Address/Direct Address in the "Al-Jabiya Sermon" of Omar bin Al-Khattab (ra) A Pragmatic Study Based on Speech Act Theory

[*]Dr. Safwan Salloum
[**]Dr. Raed Mansour

(Received 11/11 /2025. 16 /3/2026)

□ ABSTRACT□

The Al-Jabiya sermon delivered by the second Rightly-Guided Caliph, Omar bin Al-Khattab (ra), stands as an intellectual and linguistic beacon, representing the pinnacle of Arabic and Islamic eloquence. It embodies a unique oratorical style that combines rhetorical fluency, wisdom, and both emotional and intellectual influence.

Building on this foundation, this research seeks to study the style of address/direct address in the Al-Jabiya sermon from a pragmatic perspective, relying on Speech Act Theory established by the philosopher J.L. Austin and his student John Searle. This theory investigates how language is used to perform communicative acts within different contexts.

Keywords: Speech Acts, Pragmatics, Address/Direct Address, Al-Jabiya.

[*]Assistant Professor, Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Latakia University, Latakia, Syria.
[**]Assistant Professor, Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Latakia University, Latakia, Syria.

مقدمة:

يدرس البحث النداء في خطبة الجابية لعمر بن الخطاب (ر)، دراسة تداولية وفق نظرية الكلام، مستعينًا بالدراسات التي تناولت الخطاب العمريّ من منظور تداولي، وخاصة فيما يتعلق بتحليل أفعال الكلام مثل النداء.

وتعدّ خطبة (الجابية) التي وردت في كتب عدّة، منها: تاريخ الأمم والملوك للطبري، والبداية والنهاية لابن كثير، منارةً فكريةً ولغويةً تمثل ذروة البلاغة العربية والإسلامية، إذ تجسد أسلوباً خطابياً فريداً يجمع بين الفصاحة والحكمة، والتأثير الوجداني والعقلي.

وتكشف الدراسة عن الإستراتيجيات الخطابية التي استخدمها الخليفة عمر بن الخطاب (ر)، لتوجيه الجمهور والتأثير فيه انفعاليًا وعقليًا، إذ تمتاز خطبه بتنوع أساليبها بين الوعظي والجهادي والسياسي والاجتماعي، ما يجعلها مادةً خصبةً للدارسةِ التداولية، وتعكس هذه الخطب عمقًا فكريًا وبلاغيًا يبرزها نموذجًا مثاليًا لدارسة آليات التواصل في الخطاب الديني.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أنّه يكشف عن الآليات التداولية التي استخدمها الخليفة عمر بن الخطاب (ر) في خطبه لتوجيه المخاطب وإقناعه، مما يثري الدراسات اللسانية الحديثة في حقل تحليل الخطاب، وكذلك يسهم في فهم أعمق للخطاب الإسلامي المبكر، ويبرز جوانب من بلاغة عمر بن الخطاب التي تمثل نموذجًا راقيًا للتواصل الفعّال.

إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية البحث حول فهم كيفيّة استخدام النداء بوصفه فعلًا كلاميًا في خطبه، وما الأغراض التداولية التي تحقّقت من خلالها؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحليل أنماط النداء في خطبة (الجابية)، وفق نظرية أفعال الكلام، والكشف عن الأهداف التواصلية والتأثيرية التي تضمنتها هذه الأساليب، وتحديد الخصائص الأسلوبية والبلاغية التي تميز خطب الخليفة عمر بن الخطاب (ر) في ضوء المنهج التداولي.

تساؤلات البحث:

يطرح البحث التساؤلات الآتية:

١- ما نوع أساليب النداء الواردة في خطبة (الجابية)، وما وظائفها التداولية؟

٢- كيف تسهم هذه الأساليب في بناء المعنى والتأثير في المتلقي؟

٣- ما دور السياق في تحديد دلالات هذه الأفعال الكلامية؟

المنهج المتّبع:

يعتمد البحث المنهج الوصفيّ الذي يعتمد على تتبّع الخطبة المدروسة وتحليلها تحليلًا يبرز دلالاتها بالاعتماد على السياق الذي وردت فيه.

ويطبّق البحث نظرية أفعال الكلام على نصوص تراثية، مما يفتح آفاقًا جديدة في دراسة التراث العربي الإسلامي بمناهج معاصرة.

حدود البحث:

ينقسم البحث إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين، تتضمن المقدمة أهمية البحث، وسبب اختيار خطبة (الجابية) مادة للتحليل وأهداف البحث وإشكاليته وتساؤلاته والمنهج المتّبع.

ويقدّم التمهيد علاقة التداولية بالتراث البلاغي العربيّ، ويعرض المبحث الأول الإطار النظري والمنهجي الذي يتضمن نظرية أفعال الكلام والنداء في ضوء اللسانيات التداولية، ويقدّم المبحث الثاني الجانب التطبيقي للدراسة، فيعرض النص الكامل للخطبة وأنواع النداء ووظائفه التداولية في الخطبة، ويقدّم تحليلًا تداوليًا للنداء في خطبة الجابية، وينتهي البحث بخاتمة تتضمن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث والتوصيات المقترحة.

تمهيد: علاقة التداولية بالتراث البلاغي العربي:

يشهد حقل اللسانيات الحديثة تطورًا ملحوظًا في الاهتمام بالبعد التداولي للغة، الذي يركّز على تحليل الخطاب في سياقه التواصلي، ويدرس كيفية استخدام المتكلمين للغة؛ لتحقيق أغراضهم الإقناعية والتأثيرية.

وفي هذا الإطار، تبرز التداولية بوصفها من أهم المناهج التي تعنى بدراسة اللغة في استعمالها الفعلي، انطلاقًا من نظريات مثل أفعال الكلام لجون أوستن وسيرل، ومبدأ التعاون لدى غرايس.

ومن اللافت أن العديد من المفاهيم التداولية الحديثة تجد جذورًا عميقة في التراث البلاغي العربي الذي أسسه علماء مثل عبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز"، و"أسرار البلاغة"، والزمخشري في "الكشاف"، وابن قتيبة في "تأويل مشكل القرآن"؛ إذ تناول هذا التراث قضايا مثل المقام الخطابي، النية التواصلية، السياق، وأثر المخاطَب في صياغة الخطاب، وهي مفاهيم تشكل لبّ النظرية التداولية المعاصرة.

المبحث الأول: الإطار النظريّ والمنهجيّ

ويدرس هذا المبحث المحاور الآتية:

المحور الأول: أصل نظرية أفعال الكلام عند أوستن وسيرل

تعدّ نظرية أفعال الكلام من أهم النظريات في اللسانيات التداولية؛ حيث أحدثت تحولًا جذريًا في دراسة اللغة من خلال التركيز على الوظيفة الإنجازية للكلام بدلًا من تحليله بمعزل عن السياق، ويعود أصل هذه النظرية إلى الفيلسوف جون لانجشو أوستن، ثم تطورت على يد تلميذه جون سيرل.

وستحاول الدراسة الكشف عن الأصول الفلسفية واللغوية لنظرية أفعال الكلام، وتحليل تطورها من خلال أعمال أوستن وسيرل.

أولاً: جون أوستن وأصول النظرية

١- **السياق التاريخي والفكري:** ظهرت أفكار أوستن في منتصف القرن العشرين كرد فعل على الاتجاه الوضعي المنطقي الذي كان سائدًا في فلسفة اللغة، والذي ركز على القضايا التحليلية (الصادقة والكاذبة).

وفي المقابل، رأى أوستن أنّ اللغة لا تُستخدم للإخبار فحسب، بل لإنجاز أفعال مثل الوعد، الأمر، النصح، وغيرها .[١]

٢- **أفعال الكلام وتصنيفها عند أوستن:** طرح أوستن نظريته في سلسلة محاضراته التي جمعت لاحقًا في كتابه الشهير كيف نصنع الأشياء بالكلمات عام (١٩٦٢)؛ إذ ميز بين الأفعال الكلامية التي هي المعنى الحرفي للجملة،

[١] أوستن، جون: كيف نصنع الأشياء بالكلمات. ترجمة: عبد القادر قنيني. (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ٢٠٠٢م).

والأفعال الإنجازية التي هي القوة التواصلية للكلام، مثل الأمر، الوعد، النصح، والأفعال التبليغية التي هي الأثر الناتج عن الكلام في المتلقي، ويشير أوستن إلى أنّه «عندما نقول شيئًا، فإننا لا نصف فقط، بل ننجز فعلًا، مثل الوعد أو الأمر» .[١]

وقد قسّم أوستن الأفعال الإنجازية على خمسة أنواع: الوصفية، مثل الحكم على شيء، والتعهدية، مثل الوعد والقسم، والتوجيهية، مثل الأمر والطلب، والتعبيرية، مثل الشكر والاعتذار، والإعلانية مثل التسمية والزواج .

ثانياً: جون سيرل وتطوير النظرية

١- نقد سيرل لأوستن وتطوير التصنيف: اعتمد سيرل على أفكار أوستن، لكنه قدّم تصنيفًا أكثر دقةً في كتابه "أفعال الكلام"؛ إذ ركز على نية المتكلم وقواعد اللغة، وصنّف أفعال الكلام إلى التوكيدية، مثل الإخبار والوصف، والتوجيهية، مثل الطلب والأمر، والتعهدية، مثل الوعد والتهديد، والتعبيرية، مثل الشكر والتهنئة، والإعلانية، مثل الإقالة والزواج، ويوضّح سيرل أنّ الفعل الإنجازي لا يكتمل إلا بوجود قواعد لغوية واجتماعية تحكمه .[٣]

٢- نظرية القواعد التأسيسية: أضاف سيرل مفهوم "القواعد التأسيسية" التي تميز الأفعال الكلامية عن غيرها، مثل: الوعد يتطلب أن يكون المتكلم جادًا وقادرًا على التنفيذ .[٤]

ويمكن القول: إنّ نظرية أفعال الكلام عند أوستن وسيرل من أهم الإسهامات في فلسفة اللغة واللسانيات التداولية، فقد انتقلت بدراسة اللغة من البعد الشكلي إلى البعد الوظيفي، مما فتح آفاقًا جديدةً في تحليل الخطاب.

وعلى الرّغم من تطور النظرية لاحقًا، تظل أعمال أوستن وسيرل حجر الأساس في هذا المجال.

٣- التصنيف الخماسي لأفعال الكلام عند سيرل:

تشكّل نظرية أفعال الكلام أحد أهم الإنجازات في حقل اللسانيات التداولية؛ إذ انتقلت بدراسة اللغة من التحليل الشكلي إلى دراسة الوظيفة التواصلية للكلام في سياقاته الاجتماعية.

وقد قدّم الفيلسوف جون سيرل تصنيفًا خماسيًا لأفعال الكلام في كتابه "أفعال الكلام" (١٩٦٩)، فقسمها إلى: الإخبارية والتوجيهية والتعبيرية والالتزامية والإعلانية، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

١- الأفعال الإخبارية أو التوكيدية: هي أفعال كلامية تهدف إلى وصف حالة في العالم أو التعبير عن اعتقاد المتكلم بصحة قضية ما، ويمكن تقييمها بالصدق أو الكذب؛ إذ تتضمن أفعالًا مثل: الإخبار، الوصف، التأكيد، الادعاء، ومن أمثلتها: الأرض تدور حول الشمس، إنها تمطر الآن، وتتمثل وظيفة الأفعال الإخبارية عند سيرل في (التزام المتكلم بحقيقة القضية المطروحة) .[٥]

٢- الأفعال التوجيهية: هي أفعال تهدف إلى حثّ المستمع على القيام بفعلٍ ما، وتعكس علاقة سلطة أو توجيه، وتشمل الأمر والطلب والنصح والاستفهام، ومن أمثلتها: أغلق الباب، هل يمكنك إعطائي الكتاب؟

وقد أشار سيرل إلى أنّ الأفعال التوجيهية تحاول جعل العالم يتطابق مع الكلمات من خلال تأثيرها على سلوك المستمع .[٦]

---

[١] أوستن، جون: كيف نصنع الأشياء بالكلمات ، ص٥.
[٢] ينظر المرجع السابق: ص١٩٠- ٢٠١.
[٣] سيرل، جون. أفعال الكلام: بحث في فلسفة اللغة. ترجمة: عبد القادر قنيني، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ١٩٩٦م)، ص٢٤.
[٤] سيرل: أفعال الكلام. ص٦٦- ٦٨.
[٥] ينظر سيرل: أفعال الكلام، ص٣٥.
[٦] ينظر المرجع السابق، ص٣٦.

أ- الأفعال التعبيرية: هي أفعال تعبّر عن الحالة النفسية للمتكلم تجاه قضية ما، ولا تتطلب مطابقة العالم للكلمات او العكس، وهي تشمل: الشكر والاعتذار والتهنئة والتعزية، ومن أمثلتها: شكرًا لمساعدتك، أنا آسف على ما بدر مني، ويرى سيرل أنّ «وظيفة الأفعال التعبيرية تتمثّل في التعبير عن موقف المتكلم تجاه الحالة التي يشير إليها الكلام» .[١]

ب- الأفعال الالتزامية أو التعهدية: وهي أفعال تلزم المتكلم بفعل شيء في المستقبل، وتخلق التزامًا على المتكلم، وتشمل: الوعد، التهديد، والعهد، والقسم، ومن أمثلتها: أعدك بأن أحضر غدًا، سأجتهد في عملي، ويعتقد سيرل أنّ «الأفعال الالتزامية تلزم المتكلم بمسار عمل مستقبلي» .[٢]

ج- الأفعال الإعلانية: هي أفعال تغير الواقع بمجرد النطق بها، وتتطلب سلطة مؤسسية، وتشمل التعيين والفصل، والزواج والإقالة، ومن أمثلتها: "أعلن افتتاح المؤتمر"، "أنت مفصول من العمل"، ويرى سيرل أنّ «الأفعال الإعلانية تغيّر حالة العالم المؤسسي بمجرد إصدارها بنجاح» .[٣]

بناءً على ما تقدّم فإنّ تصنيف سيرل الخماسي لأفعال الكلام يقدّم إطارًا نظريًا متكاملًا لفهم الآليات التي تعمل من خلالها اللغة في السياقات الاجتماعية.

وقد مكّن هذا التصنيف الباحثين من تحليل الخطاب بمنهجية علمية دقيقة، ما أسهم في تطور الدراسات اللسانية والتداولية.

المحور الثاني: خصائص النداء في ضوء اللسانيات التداولية- دراسة بنيوية ودلالية

يُعدُّ تحليل النداء من المحاور الأساسية في الدرس التداولي؛ حيث تكشف هذه الأساليب عن التفاعل بين البنية اللغوية والمعنى السياقي.

وستحاول الدراسة تحليل الخصائص البنيوية والدلالية لهذا الأسلوب في ضوء اللسانيات التداولية، وفق الآتي:

- البنية اللغوية للنداء: دراسة تحليلية في ضوء اللسانيات الحديثة

يُعد النداء من أهم الأساليب اللغوية التي حظيت باهتمام اللغويين قديمًا وحديثًا؛ حيث يؤلّف نظامًا تركيبيًا ودلاليًا متميزًا في اللغة العربية، ويمكن تحليل البنية اللغوية للنداء؛ من حيث عناصره التركيبية ووظائفه التداولية، وفق الآتي:

أولاً: العناصر التركيبية للنداء: يتألف النداء من أداة نداء، وهي: يا "الأكثر شيوعًا": يا رجلُ و"أيا" و"هيا": "أيا عبدَ اللهِ"، "هيا بنيَّ"، ويمكن استخدام أسلوب النداء بلا أداة: نحو: "ربِّ اغفر لي" .[٤]

والمنادى خمسة أقسامٍ: المفرد المعرفة والنكرة المقصودة والنكرة غير المقصودة والمضاف والشبيه بالمضاف.

فإن كان مفرداً فإمّا أن يكون معرفة ، نحو: "يا محمدُ"، أو نكرة مقصودة، نحو: يا رجلُ، أو نكرة غير مقصودة نحو: "يا رجلًا عندَه علمٌ ليُعلِمَني" ، وتتمة النداء قد يتضمن جملة، نحو قولهم: "يا طالبَ العلمِ اجتهدْ" .[٣]

---

[١] سيرل، جون: التعبير والمعنى. ترجمة: حسن حنفي، (القاهرة: دار التنوير، ٢٠١٠م) ص١٥، وأفعال الكلام، ص٣٧.

[٢] سيرل: أفعال الكلام، ص٣٦.

[٣] ينظر المرجع السابق: ص٣٧- ٣٨.

[٤] سيبويه: الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠٦م، ط٣) ١٨٢/٢. وابن عقيل، بهاء الدين، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (مصر: مطبعة السعادة، ١٩٦٥م، ط١٤)، ٢٥٧/٢. والسيوطيّ، جلال الدين، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، (بيروت: منشورات دار الكتب العلمية، ١٩٨٩م، ط١)، ١٤٣/٢، والغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية، راجعه ونقحه: د. عبد المنعم خفاجة، (بيروت: صيدا: المكتبة العصرية، ١٩٨٣م، ط١٦)، ١٤٥/٣. الغلاييني، جامع الدروس العربية، ج٣ص١٤٥.[5]

ثانياً: المستويات التحليلية للنداء: وتنقسم إلى المستويات الآتية:

١- المستوى الصوتي: وهو ارتفاع النبرة الصوتية في أداة النداء، وتميز بنمط نغمي خاصّ ، فإذا قلنا: يا عبد الله كان أعلى النبر على (يا) ، إذ يلاحظ أنّ للنداء نمطًا تنغيميًّا خاصًا يتميز بارتفاع حدة الصوت في بدايته أي على أداة النداء، ثم لا يلبث أن يبدأ بالهبوط .

٢- المستوى النّحويّ: إنّ المنادى في قولنا: "يا محمدُ"، ويا زيدُ (مبني على الضمّ في محلّ نصب)، والمنادى المضاف في قولنا: "يا عبدَ الله، ويا غلامَ زيدٍ" (منصوب) .

٣- المستوى التركيبي: إنّ الجملة الندائية جملة إنشائية طلبية، وهي جملة فعليّة يقوم فيها النّداء مقام الفعل، والمنادى مقام المفعول به، وصاحب النداء هو الفاعل، وقد أورد ذلك ابن عقيل في معرض حديثه عن حذف حرف النداء جوازاً، فقال: " تقول في (يا زيدُ أقبلْ): زيدُ أقبلْ، وفي (يا عبدَ الله اركبْ): عبد الله اركبْ" .

ثالثًا- الوظائف التداولية للنداء:

إنّ الوظيفة الرّئيسة للنّداء هي جذب انتباه المخاطب ، وأمّا الوظائف الثانوية فهي متعدّدة من أبرزها: التوبيخ، نحو: يا خونة، والاستغاثة، نحو: يا لَزيدٍ لِعَمْرٍو، والتحذير، نحو: يا جاهلًا نهاية الطريق ، ويمثّل النداء في التحليل التداوليّ فعلًا كلاميًا توجيهيًا، وفي التحليل النصي هو أداة اتصال نصية؛ إذ تتمثّل الخصائص الدلالية والتدوالية للنداء في القصد التواصلي، وهو جذب انتباه المخاطب وتوجيهه نحو فعل أو استجابة، وقد يحمل النّداء معاني التوبيخ أو الترحيب حسب السياق، مثال: (يا منافقون) في سياق التنديد والوعيد، ويقابله (يا عشقي) في سياق العاطفة، والسياق هنا يتوقف تأثيره على العلاقة بين المتكلم والمخاطب.

ويرى ليفينسون أنّ «النداء فعل كلامي يهدف إلى إقامة الاتصال مع المخاطب وتوجيه انتباهه» .

وتكشف هذه الدراسة أنّ النداء واحدٌ من الأنماط الكلامية التي تختلف في بنيتها ودلالاتها التداولية، لكنها تشترك في كونها أفعالًا إنجازية تُستخدم لتحقيق أغراض تواصلية محددة، ويبقى تحليلها في ضوء السياق ضروريًا لفهم المعنى الكامل.

وبناءً على ما تقدّم يتضح أنّ النداء نظامٌ لغويٌّ متكامل يجمع بين البنية التركيبية الثابتة والوظائف التداولية المتغيرة حسب السياق، مما يجعله أداة تواصلية فعالة في الخطاب العربي.

---

[1] ابن عقيل، بهاء الدين، شرح ابن عقيل، ج٢ص٢٥٨.
[٢] ابن هشام، جمال الدين: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك، (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥م، ط٦)، ٣٠٢/١.
[٣] الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، (القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت) ص١٥٦.
[٤] ينظر بشر، د. كمال: علم الأصوات، (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر) ص٨٢.
[٥] أنيس، د. إبراهيم: علم الأصوات العربية، (القاهرة: مطبعة الأنجلو المصرية، ١٩٩٨م، ط٩)، ص١٢٢.
[٦] عمر، د. أحمد مختار: دارسة الصوت اللغوي، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٧م، ط٣)، ص٢٩١.
[٧] سيبويه: الكتاب، ١٨٢/٢. وابن عقيل: شرح ابن عقيل، ٢٥٨/٢- ٢٦٠، والغلاييني، مصطفى: جامع الدروس العربية، ١٤٦/٣.
[٨] ابن عقيل: ٢٥٧/٢.
[٩] ينظر ليفينسون، ستيفن: التداولية، ترجمة: أحمد محمد عبد الخالق، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٨٣م)، ص٧٢.
[١٠] الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص١٥٨.
[١١] ليفينسون: التداولية، ص٧٢.

رابعاً: مقاصد النداء التداولية: دراسة تحليلية في الخطاب العربي

يُعدُّ أسلوب النداء من أكثر الأساليب اللغوية حيوية في التواصل الإنساني؛ إذ لا يقتصر على جذب الانتباه فقط، بل ينطوي على أبعادٍ تداوليةٍ عميقةٍ.

ويسعى البحث إلى تحليل المقاصد التداولية للنداء، مع التركيز على أربعة أنواع رئيسة: الإيقاظي، التحذيري، العاطفي، والرمزي، وفيما يأتي تفصيل لذلك:

١- **النداء الإيقاظي:** يتمثّل الغرض منه في تنبيه المخاطب إلى أمر غفل عنه، ومن أهمّ سماته اللغوية: استخدام أدوات النداء الصريحة (أ، يا، أيا، هيا)، واقترانه بجمل فعلية تشجّع على الفعل، ومن شواهده في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]؛ إذ يُوجّه الخطاب إلى المؤمنين لإيقاظهم من الغفلة [١].

٢- **النداء التحذيري:** يبرز غرضه في تنبيه المخاطب إلى خطر متوقّع، ومن سماته اللغوية: استخدام صيغ النهي أو التهديد، وتكرار النداء لأهميته، ومن شواهده ما ورد في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ [التحريم: ٧]؛ إذ يتضمّن النصّ تحذيرًا صريحًا من العواقب.[٢]

٣- **النداء الرمزي:** إنّ غرضه مخاطبة غير العاقلين أو المفاهيم المجردة؛ وذلك لأغراض بلاغية، ومن سماته اللغوية: استخدام المجاز، نحو: (يا زمانَ الوصلِ)، ومن شواهده في القرآن الكريم: ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ [هود: ٤٤]؛ إذ نرى مخاطبة الأرض بوصفها كائنًا حيًّا [٣].

٤- **النداء العاطفي:** يتجلّى الغرض الذي يؤدّيه في التعبير عن المشاعر (الحزن، القهر، السعادة). ومن سماته اللغوية: استخدام الألفاظ المشحونة بالعواطف، مثل: يا قلبي، ويا حسرتاه، وتكرار النداء لإشعال مشاعر معيّنة، نحو: يا عمري... يا عمري؛ ومن شواهده في القرآن الكريم: ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]؛ إذ يشير النداء إلى التعبير عن الندم الشديد [٤].

ويُظهر البحث أن النداء ليس أسلوبًا لغويًّا فحسب، بل هو نظام تواصلي يحمل أبعادًا تداولية متعددة، تتراوح بين الإيقاظ والتحذير والعاطفة والرمزية، وتبرز أهميته في وصفه أداة فعالة للتأثير في المخاطب وتوجيه ممارساته.

وسيحاول البحث تحليل النداء في خطبة (الجابية) تحليلًا تداوليًا، فيعرض أنواعه ووظائفه التداولية، مع التركيز على ثلاثة عناصر رئيسة، هي:

١- السياق: الموقف التاريخي والاجتماعي الذي قيل فيه النداء.
٢- المخاطب: الفئة الموجه إليها النداء (أصحابه، أعداؤه، العامة).
٣- النية: الهدف من النداء (توبيخ، توجيه، استنهاض همة).

---

[١] الطبريّ، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل القرآن (تفسير الطبري)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (الرياض: دار هجر للطباعة والنشر، ٢٠٠١م)، ٣٣/٤. وينظر الزمخشري، محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٩م) ٣٩٩/١.
الزمخشريّ: الكشّاف،٤/ 3122

[٣] الزمخشري: الكشاف، ١٨٤/٢، وينظر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص٤٥.

[٤] الطبري: تفسير الطبري، ٦٤/١. وينظر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص٢٨٧. وابن كثير، إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، (دار طيبة، ١٩٩٩م) ٤٥/٧.

المبحث الثاني: الجانب التطبيقي

أولًا- النص الكامل لخطبة عمر (ر) في الجابية : [١]

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِعِزَّتِهِ وَجَلَالِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَبِطَاعَتِهِ يَرْتَفِعُ الْعَدْلُ وَتَنْزِلُ الرَّحْمَةُ، وَبِذِكْرِهِ تُعْمَرُ الْبِلَادُ، وَتُزْدَرَعُ الْأَنْعَامُ، وَنَسْتَعِينُهُ فَهُوَ خَيْرُ مُسْتَعَانٍ، وَنَسْتَغْفِرُهُ فَهُوَ خَيْرُ مُسْتَغْفَرٍ، وَنُؤْمِنُ بِهِ وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ فَهُوَ خَيْرُ مَوْكُولٍ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا أَفْضَلُ مَا أَخَذَ الْعَبْدُ بِهَا نَصِيحَةً، وَأَفْضَلُ مَا ادَّخَرَ لِيَوْمِ الْفَاقَةِ وَالْمَحْشَرِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنْ يَخْشَ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتٍ كَثِيرَةً، وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.

أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا لَغُرُورٌ، وَإِنَّمَا يُوتَرُ مِنْهَا مَا قُدِّمَ لِلْآخِرَةِ. أَلَا وَإِنَّ الْعِبَادَ يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ هَمُّهُمْ أَخَذَ الْحُقُوقِ وَإِضَاعَةَ الْفُرُوضِ.

أُوصِي الْأُمَرَاءَ بِالرَّعِيَّةِ خَيْرًا، فَإِنَّكُمْ مَسْؤولونَ عَنْهُمْ. وَأُوصِي الرَّعِيَّةَ بِطَاعَةِ أُمَرَائِهِمْ فِي مَعْرُوفٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ حَقٌّ عَلَيْهِمْ.

اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِيَّاكُمْ وَالِاخْتِلَافَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الِاثْنَيْنِ، وَإِنَّهُ مِنَ الْوَاحِدِ أَبْعَدُ. مَنْ جَاهَدَ بِبَاطِلٍ لِيَدْحَضَ بِهِ حَقًّا فَهُوَ أَحَقُّ بِالْبَاطِلِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، كُلُّكُمْ مَسْؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ مَسْؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ مَسْؤول عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالْمَرْأَةُ مَسْؤولةٌ عَنْ بَيْتِ زَوْجِهَا. أَلَا فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا.

ثُمَّ اعْلَمُوا أَنَّ أَفْضَلَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَالْجَبَرُوتَ وَالْعُجْبَ فِي الْأَمْرِ، فَإِنَّ مَنْ عَجِبَ أُعْجِبَ بِهِ، وَمَنْ جَبَرَ جُبِرَ عَلَيْهِ.

أُوصِيكُمْ بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ أَصْلُ النَّاسِ وَأَصْلُ الْعَرَبِ. ثُمَّ أُوصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ وَفَوْا بِمَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ.

أُوصِيكُمْ بِأَهْلِ الْبُلْدَانِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ حِصْنُ الْعَرَبِ وَقُوَّتُهَا. أُوصِيكُمْ بِالْأَعَاجِمِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ مَعَاشُكُمْ وَمَعَادُكُمْ.

أُوصِيكُمْ بِالْجُنْدِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ أَعِزَّةُ الْبِلَادِ وَحُصُونُهَا. لَا تُضَيِّعُوهُمْ وَلَا تُجْهِدُوهُمْ. أَقِيلُوا عَثَرَاتِهِمْ، وَاسْتَرُوا عُيُوبَهُمْ، وَأَصْلِحُوا فَسَادَهُمْ، فَإِنَّهُمْ فِي حَيِّزٍ صَعْبٍ).

مقدّمة:

تقسم خطبة (الجابية) لعمر بن الخطاب (ر) إلى الأجزاء الآتية:

١- مقدّمة تضمّنت الثناء على الله سبحانه وتعالى.

٢- التوجيه والإرشاد.

٣- الدستور العمليّ للحكم، وهو الجزء الأشهر في الخطبة.

٤- وصيّة فيها دعوة إلى التمسّك بالسّنّة النّبويَّة الشّريفة.

٥- توجيهات عملية للجيش والمجتمع وهي توجيهات تعدّ زائدة في بعض الروايات.

[١] الطبري: تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار المعارف)، ٦٠٩/٣. وابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، (دار الفكر، بيروت) ٥٧/٧- ٥٨.

ثانياً: أنواع النداء ووظائفه التداوليّة في خطبة (الجابية):

النداء هو أداة تداولية أساسية، تستخدم لجذب انتباه المخاطب وتحديده، وخلق علاقة تواصلية مباشرة، وتحديد مسار الخطاب، ويمكن تقسيم النداءات في الخطبة إلى ثلاثة أنواع رئيسة، لكل منها وظيفة تداولية محددة، وهذه الأنواع هي:

١- **النداء العام:** يبرز في قوله: (أَيُّهَا النَّاس)، وقد تكرّر هذا النّداء مرات عدّة، مما يشير إلى أنه الخطاب الأساس.

أمّا الوظيفة التداولية لهذا النداء فكانت توحيد الجمهور؛ إذ إنّ الجمهور في الجابية كان متنوعًا جدًا (مهاجرون، أنصار، جنود، قادة، أعاجم)، فجاء أسلوب النداء في قوله: (يا أيها الناس) كي يخلق هوية مشتركة فوق الفروقات، هي الانتماء للإسلام، فيجمعهم تحت مسؤولية واحدة.

وكذلك حمل وظيفة التهيئة لأمر مهمّ؛ إذ إنّه كلما جاء هذا النداء، تبعه تحذير أو توجيه، فهو يعمل بوصفه جرس إنذار يهيئ الأذهان لاستقبال مادة خطابية مهمة.

ومن ذلك قوله: (أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَالْجَبَرُوت...) [٢].

وكذلك جاء استخدام هذا النّداء لإضفاء الطابع الرسمي؛ إذ يستخدم في الخطاب الرسمي والسياسي، مما يعلي من شأن الرسالة، ويجعلها موجهة إلى الأمة كلّها، وليس لفرد أو مجموعة صغيرة.

٢- **النّدء الخاصّ (الفئويّ):** برز ذلك في قوله: (يا أَيُّها النَّاسُ.. أُوصِي الْأُمَرَاءَ بِالرَّعِيَّةِ خَيْرًا، فَإِنَّكُمْ مِسْؤولُونَ عَنْهُمْ، وَأُوصِي الرَّعِيَّةَ بِطَاعَةِ أُمَرَائِهِمْ فِي مَعْرُوفٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ حَقٌّ عَلَيْهِمْ).

وقوله: (أَيُّها النَّاسُ... أُوصِيكُمْ بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ أَصْلُ النَّاسِ وَأَصْلُ الْعَرَبِ، ثُمَّ أُوصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ وَفَوْا بِمَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ) [٣].

ففي قوله: (أُوصِي الْأُمَرَاءَ) ، وقوله: (أُوصِيكُمْ بِالْمُهَاجِرِينَ) برز التحديد؛ إذ ينتقل عمر من العموم إلى الخصوص؛ فيحدد فئة معينة على نحوٍ مباشرٍ.

أمّا الوظيفة التداولية لهذا النّداء فتبرز في تخصيص المسؤولية وتوضيحها أي توزيعها. وعندما يقول: أُوصِي الْأُمَرَاءَ، فهو يوجه الخطاب مباشرة إلى الحكام، ويجعلهم في موقف المساءلة المباشرة، وكذلك عندما يوصي بالأنصار أو الأعاجم، فهو يخاطب الأمّة في كيفية التعامل مع هذه الفئات.

وكذلك الإقرار والدمج؛ إذ يقوم عمر (ر) بندائه لفئات مثل الأَعَاجِم وأَهْلِ الْبُلْدَانِ بعملية تداولية مهمة وهي الإقرار بالوجود والدمج الرمزي؛ إنَّه يرفع من شأنهم بجعلهم موضوعًا للخطاب الرسمي للخليفة، وهذا ما يعطيهم مكانة ويشعرهم بأنّهم جزء من الجسم السياسي للإسلام، وليسوا مجرد رعايا محتلين. وتتجلّى النية هنا في منع الاحتقان الاجتماعي وبناء ولاء.

وكذلك إدارة التوقعات؛ إذ يوجّه عمر بندائه للجند (أُوصِيكُمْ بِالْجُنْدِ) رسالة مزدوجة للجند بأن قائدهم يقدرهم، وللقادة والأمة فيذكّرهم بواجبهم نحو هؤلاء الجنود، وهو يدير بذلك توقعات جميع الأطراف.

---

[١] الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١٦٠/٢.
[٢] المصدر السابق: ١٦١/٢.
[٣] ابن كثير: البداية والنهاية، ٥٨/٧.
[٤] المصدر السابق: ٥٨/٧.
[٥] الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١٦١/٢.

٣- النداء (التوكيدي – الانتباهي): برز من خلال استخدام الأدوات الآتية: "أَلَا"، "أَلَا وإِنَّ"، "ثُمَّ اعْلَمُوا" فمن حيث الطبيعة فإنّ هذه أدوات نداء؛ وذلك لغرض التوكيد واستعادة الانتباه.

وأمَّا الوظيفة التداولية فتتجلّى في مجيء هذه النداءات قبل العبارات المحوريّة في الخطبة؛ وذلك لتثبيت الأفكار الرئيسة، فمثلًا: (أيّها الناس... أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا لَغُرُورٌ، وَإِنَّمَا يُؤْتَرُ مِنْهَا مَا قُدِّمَ لِلْآخِرَةِ، أَلَا وَإِنَّ الْعِبَادَ يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ هَمُّهُمْ أَخَذَ الْحُقُوقِ وَإِضَاعَةَ الْفُرُوضِ)[١]

فالنداء هنا يهيئ المستمع لفكرة مصيرية.

وكذلك أسهمت هذه النداءات في خلق إيقاع خطابي؛ إذ قسّمت الخطاب على مقاطع واضحة، مما ساعد على استبقاء المعلومات، فكان عملها علامات فواصل في نص طويل، أعادت تركيز انتباه المستمع.

وأمّا من حيث النّية الإقناعية فقد كانت الغاية من استخدام هذه النداءات التأكيد على حقيقة لا مجال للشك فيها، مما يقطع الطريق على أي جدال؛ فقوله: (أيّها النّاس... أَلَا فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا) ، هنا يصبح الأمر نهائيًا وملزمًا[٢] بلهجة أمر مؤكدة.

ثالثًا- تحليل تداوليّ للنّداء من حيث السياق والمخاطب والنيّة:

١- من حيث السياق:

كان السياق في شقّيه الاجتماعيّ والسّياسيّ حرجًا ودقيقًا، ما أعطى النداءات في الخطبة دلالات عميقة؛ فقد جاءت الخطبة في سياق ما بعد النصر أي بعد سقوط الإمبراطورية البيزنطية في الشام، وهذا أوجد فراغًا سياسيًا واجتماعيًا هائلًا.

وهدفت النداءات إلى إعادة التنظيم، وليس الاحتفال بالنصر، فالنبرة كانت جدية وتحذيرية، عكست خوف عمر من انهيار الدولة، بسبب مفاسد القوة؛ إذ أورد الطبري قول عمر: (إني أخاف عليكم عواقب الأمور) [٣].

وفي سياق التحول الديموغرافي أصبحت الدولة الإسلامية تضم شعوبًا متعددة، من عرب مكة والمدينة واليمن، وأعاجم أهل الشام والعراق... إلخ، لذلك جاءت النداءات شاملة ومحددة في آن واحد؛ وذلك لدمج هذه المكونات، من ذلك قوله: (أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَالْجَبَرُوتَ وَالْعَجْبَ فِي الْأَمْرِ، فَإِنَّ مَنْ عَجِبَ أُعْجِبَ بِهِ، ومَنْ جَبَرَ جُبِرَ عَلَيْهِ.

أُوصِيكُمْ بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ أَصْلُ النَّاسِ وَأَصْلُ الْعَرَبِ. ثُمَّ أُوصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ وَفَوْا بِمَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ.

أُوصِيكُمْ بِأَهْلِ الْبُلْدَانِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ حِصْنُ الْعَرَبِ وَقُوَّتُهَا. أُوصِيكُمْ بِالْأَعَاجِمِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ مَعَاشُكُمْ وَمَعَادُكُمْ.

أُوصِيكُمْ بِالْجُنْدِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ أَعِزَّةُ الْبِلَادِ وَحُصُونُهَا. لَا تُضَيِّعُوهُمْ وَ لَا تُجْهِدُوهُمْ. أَقِيلُوا عَثَرَاتِهِمْ، وَاسْتَرُوا عُيُوبَهُمْ، وَأَصْلِحُوا فَسَادَهُمْ، فَإِنَّهُمْ فِي حَيِّزٍ صَعْبٍ) [٤].

وفي سياق الموقف العسكري ألقيت الخطبة في معسكر الجيش ضمن منطقة الجابية في الجولان؛ لذا كان النداء موجهًا على نحوٍ مباشر إلى قلب القوة الناشئة أي الجند وقادتهم؛ وذلك لضبط سلوكهم وتذكيرهم بأنهم حراس للدّين باقون، وليسوا غزاة عابرين، من ذلك قوله: (أَيُّها النَّاسُ، كُلُّكُمْ مَسْؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ مَسْؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ مَسْؤول عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالْمَرْأَةُ مَسْؤولةٌ عَنْ بَيْتِ زَوْجِهَا. أَلَا فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا) [٥].

---

[١] ابن كثير: البداية والنهاية، ٥٧/٧.
[٢] الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١٦١/٢.
[٣] المصدر السابق: ١٥٩/٣.
[٤] ابن الأثير: البداية والنهاية، ٥٧/٧- ٥٨.
[٥] المصدر السابق: ٥٨/٧.

٢- من حيث المخاطب:

تنوعت صيغ النداء في الخطبة بتنوع المخاطبين، وهذا يعكس فهمًا دقيقًا للتركيبة الاجتماعية؛ إذ يُلاحظ أنَّ الخطاب لم يوجه على نحوٍ عدائيّ إلى أعداء، وفق المعنى التقليديّ للكلمة، بل أسّس خطابًا داخليًّا لبناء الدولة وضمّ الأطراف جميعًا.

ويمكن تحليل ذلك من خلال الجدول الآتي:

صيغة النّداء	المخاطب	التحليل التداوليّ (العلاقة مع المخاطب)
أيُّها النَّاسُ	العموم أي جميع الحاضرين بمن فيهم الوفود والقبائل المختلفة	نداء توحيدي: يهدف إلى إذابة الفوارق القبلية والمناطقية تحت هوية إسلامية واحدة. إنشاء عقد اجتماعي جديد قائم على "التقوى" و"المسؤولية" بدلًا من العصبية .
أُوصِي الأمَراء	الحكام مثل خالد بن الوليد وأبي عبيدة وغيرهما	نداء توجيهي وتحذيري: العلاقة هنا هي علاقة قائد بأعلى مسؤوليه. النبرة فيها وصية وليست طلبًا. الغرض هو تذكيرهم بمسؤوليتهم المباشرة أمام الله وكسر أي نزعة للاستبداد .
أُوصِي الرَّعِيّة	المحكومون (عامة الناس والجنود)	نداء تأطيري: يحدد حقوقهم (طاعة في المعروف) وواجباتهم. العلاقة هي علاقة توجيه من قائد الدولة لشعبه لضمان الاستقرار ومنع الفتنة.
أُوصِيكُمْ بِالْمُهَاجِرِينَ... بِالْأَنْصَارِ... بِأَهْلِ الْبُلْدَانِ... بِالْأَعَاجِمِ... بِالْجُنْدِ...	فئات المجتمع المحددة (النخبة التاريخية، سكان البوادي، غير العرب، الجيش).	نداءات دمجية واعترافية، وهذه النداءات هي الأكثر ذكاءً من الناحية التداولية؛ فنداء المهاجرين والأنصار هو تكريم لهم وتطيب لخواطرهم بعد أن أصبحت الدولة تضم وجوهًا جديدة، للحفاظ على مكانتهم الرمزية، ونداء الأعاجم هو خطاب تهدئة ودمج للسكانت الأصليين في بلاد الشام والعراق وهم الذين كانوا تحت الحكم البيزنطي والفارسي، فوصفهم بأنهم "معاشكم ومعادكم" رسالة قوية بأنهم شركاء وليسوا غنيمة، وهذا نداء لحفظ الأمن والاستقرار؛ أما نداء الجند فهو خطاب تحفيز وضبط. يشيد بدورهم "أَعِزَّةُ الْبِلَادِ"، لكنه يوجه القادة بعدم إهلاكهم، والعلاقة هنا أبوية حانية تهدف إلى بناء ولاء مؤسسي .

٣- من حيث النيّة (الهدف الإنجازي):

لم تكن النية التداولية للنداءات موحدة في الخطبة، بل تنوعت بحسب الموقف والمخاطب، ويمكن تحديدها وفق الآتي:

[١] ينظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢٢٢/٢.
[٢] ينظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١٦١/٣.
[٣] ينظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١٦٠/٣- ١٦١.

أ- **نيّة سياسيّة تتمثّل بالتوجيه والإرشاد:** حملت معظم النداءات نيّة التوجيه نحو منهج إداري وأخلاقي جديد، مثل: (أُوصِي الْأُمَرَاءَ...) ، فالهدف كان بناء نظام حكم[١] قائم على المسؤولية. وهي نية توجيهية بحتة، وليست توبيخية.

ب- **نيّة تحذيرية استباقيّة تبرز في الاستنهاض والتحذير:** جاءت بعض النداءات وفق صيغة تحذير قوية لاستنهاض الهمم من الغفلة، مثل: (أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَالْجَبَرُوتَ وَالْعُجْبَ) ، و(إِيَّاكُمْ وَالِاخْتِلَافَ) ، فهذه النيّة تهدف إلى تحذير الأمة من أمراض القوة والغنى التي تهدد كيانها من الداخل.[٣]

ج- **نيّة سياسيّة تظهر في الإقناع والدمج:** فنداءات فئات مثل المهاجرين والأنصال، مثل: (أَيُّهَا النَّاسُ... أُوصِيكُم بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ أَصْلُ النَّاسِ وَأَصْلُ الْعَرَبِ. ثُمَّ أُوصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا، فَإِنَّهُم وَفَوْا بِمَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ) .[٤]

هدفت كسب الولاء وإقناع هذه الفئات بانتمائها للكيان الجديد، وكذلك منعًا للاحتقان؛ إذ لم يكن فيها توبيخ، بل وعودٌ وضماناتٌ تهدف إلى الاستقرار.

د- **نيّة أمريّة تبرز في الإلزام:** إذ ختم الخطبة بنداء توكيدي برز في قوله: (أَلَا فَاسْمَعُوا وأطيعوا) ، وهو نداء يحمل نية إلزام الجميع بالسماع والطاعة في إطار المسؤولية المحددة، وهذا أمر نهائي يختتم العقد الاجتماعي الذي طرحته الخطبة.

رابعاً: تحليل تداولي لسلسلة النداءات (السياق التداولي المتتابع)

تبرز قوّة الخطبة في التسلسل المنطقيّ للنداءات الذي يقيم سلسلةً من المسؤوليات التي يمكن تحليلها وفق الآتي:

أ- البدء بالنّداء العام (أَيُّهَا النَّاسُ) + (التقوى): إذ يبدأ بتأسيس الأسّاس الأخلاقي والديني للجميع.

ب- الانتقال إلى النداء الفئوي (الأُمَرَاءَ، الرَّعِيَّة) : إذ يوزّع الأدوار والمسؤوليات[٧] بين الفئتين الرئيستين في الدولة، وذلك بعد تأسيس الأساس.

ج- التفصيل في النداءات الفئوية (المهاجرون، الأنصار، الأعاجم، الجند) : إذ ينتقل من الهيكل العام (حاكمٌ/ محكوم) إلى المكونات التفصيلية للدولة، معطيًا كلَّ فئةٍ حقّها ووصيتها؛ وهذه هي السياسة التفصيلية.

د- الختام بالنداء العام والتوكيدي (أَيُّهَا النَّاسُ، كُلُّكُمْ مَسْؤولٌ، أَلَا فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا) : وهنا يعود إلى العموم مرة أخرى، لكن بعد أن حدّد المسؤوليات، وهكذا يصبح النداء العام محملًا بمعنى جديد: أنتم أيها الناس، كلّ حسب مسؤوليته، مطالبون بالسماع والطاعة، وهذه كلّها حلقة تواصلية متكاملة.[٩]

---

[١] المصدر السابق: ١٦٠/٣.
[٢] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢٢٢/٢.
[٣] المصدر السابق: ٢٢٢/٢.
[٤] الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١٦١/٣.
[٥] المصدرالسابق: ١٦١/٣.
[٦] ينظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢٢٢/٢.
[٧] ينظر المصدر السابق: ٢٢٢/٢.
[٨] ينظر المصدرالسابق: ٢٢٢/٢.
[٩] ينظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١٦٠/٢- ١٦١.

الخاتمة:

تعدّ خطبة (الجابية) بمنزلة الدستور الأساس لإدارة الدولة الإسلامية في عهد الفتوحات؛ إذ تجسّد هذه الخطبة بتفاصيلها الكاملة عبقرية عمر الفقهية والسياسية والتربوية، وتظهره بوصفه قائد دولة، يزن بميزان العدل والشورى والمسؤولية، فهي ليست مجرّد موعظة دينية، بل وثيقة دستورية مبكرة، تجسّد رؤية عمر العميقة للحكم العادل المستند إلى الخوف من الله والمسؤولية أمامه قبل كل شيء.

وتبقى خطبة الجابية هي الأكثر شمولًا وتأصيلًا للمبادئ الحاكمة، مما جعلها واحدة من أشهر خطبه على الإطلاق.

وتشكّل هذه الخطبة نموذجًا فذًّا للخطاب التداولي النّاجح؛ إذ استجاب السياقُ التاريخي الحرج لخطابٍ واضحٍ يضع المبادئ، وأدرك المخاطبينَ بتنوعهم، ووجَّه لكل فئة الرسالةَ التي تخصّها، وتضمن انخراطها في المشروع الإسلامي، وقد حققت النيّةُ المتعددةُ الأبعاد (الدينية، السياسية، الاجتماعية) هدفها في صياغة منهج حكم رشيد مع الحفاظ على روحها الأخلاقية.

ولم يكن النداء في خطبة عمر (ر) مجرّد أداة إبلاغية، بل شكّل إستراتيجية تداولية محكمة لتحقيق أهداف محددة من أهمّها التحكم في سير الخطاب وتنظيم تدفق المعلومات، وبناء الهوية الجماعية كما في قوله: "يا أيها الناس"، من دون إغفال الإقرار بالتعددية، نحو قوله: ("يا أيها الأمراء"، "أوصيكم بالأعاجم").

وقد أسهم هذا الأسلوب التداوليّ في تحديد العلاقات الهرمية والمسؤوليات في الدولة الناشئة، وخلق حالة من الحضور الذهني والالتزام لدى المستمعين عبر التوكيد واستعادة الانتباه.

وقد استخدم عمر النداء بوصفه أداة قيادية فعالة، من أجل توجيه الأمة من حالة الانتصار العسكري إلى حالة بناء الدولة المنظمة، تحت مظلة القيم الإسلامية، ومثّل كل نداء حجر زاويةٍ في هذا البناء.

النّتائج والتّوصيات:

بناءً على ما تقدّم توصّل البحث إلى النتائج والتوصيات الآتية:

– تعدّ نظرية أفعال الكلام عند أوستن وسيرل من أهم الإسهامات في فلسفة اللغة واللسانيات التداولية؛ فقد انتقلت بدراسة اللغة من البعد الشكلي إلى البعد الوظيفي، مما فتح آفاقًا جديدة في تحليل الخطاب.

– تشكّل الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة نظامًا متكاملًا في التواصل اللغوي، حيث تكمل إحداهما الأخرى وفقًا لسياقات الاستخدام. ويبقى فهم هذه الآليات أساسيًا لفهم الخطاب وتحليله.

– إنّ النداء نظام لغوي متكامل يجمع بين البنية التركيبية الثابتة والوظائف التداولية المتغيرة حسب السياق، مما يجعله أداة تواصلية فعالة في الخطاب العربي.

– إنّ النداء ليس مجرد أسلوب لغوي، بل نظام تواصلي معقد يحمل أبعادًا تداولية متعددة، تتراوح بين الإيقاظ والتحذير والعاطفة والرمزية. وتكمن أهميته في كونه أداة فعالة للتأثير في المخاطب وتوجيه سلوكه.

– إنّ النداء في خطبة (الجابية) ليس مجرد أسلوب بلاغي، بل أداة تفعيل العقل؛ وذلك عبر الأسئلة والحجج، ووسيلة تربية روحية من خلال التذكير بالله والأخلاق، وآلية لبناء الهوية (بتعزيز الانتماء الإيماني)؛ إذ يتجاوز النداء وظيفة التنبيه إلى صناعة الوعي وصياغة الشخصية الإنسانية المتكاملة.

– تجمع خطب عمر بن الخطاب (ر) بين الأمر الإلزامي في التشريعات والمواقف الحاسمة، والأمر التقييمي في توجيه العقول وترشيد السلوك، والأمر البلاغي في التأثير الوجداني والفني.

– لم يكن النداء في خطبة (الجابية) أسلوبًا بلاغيًا عاديًا، بل أداة تداولية فعالة استخدمها عمر بن الخطاب (ر) لإدارة تحول تاريخي خطير؛ وذلك من خلال تحليل السياق والمخاطب والنية.

– إنّ كل نداء كان مستجيبًا لضرورة تاريخية أي كيفية إدارة دولة متسعة، وموجهًا بدقة لفئة محددة، مثل أصحاب الدولة والقوى الجديدة؛ وذلك لضمان فعالية الرسالة.

– حمل أسلوب النّداء نية إنجازية واضحة تتراوح بين التوجيه والاستنهاض والإقناع والإلزام.

وبناءً على ما تقدّم يوصي البحث بالتوصيات الآتية:

– دراسة خطب عمر بن الخطاب (ر) في ضوء نظرية أفعال الكلام من سياق الأمر؛ وذلك لبروز هذا الأسلوب على نحوٍ جليّ في خطب الخليفة الراشديّ الثاني.

– دراسة خطب عمر بن الخطاب (ر) في ضوء نظرية أفعال الكلام من سياق الاستفهام، وذلك لغنى الموضوع وعمق دلالاته.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١– ابن الأثير. *الكامل في التاريخ.*

٢– ابن عقيل، بهاء الدين. *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد*، مطبعة السعادة، ط١٤، ١٩٦٥.

٣– ابن كثير. *البداية والنهاية، تحقيق علي شيري*، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨.

٤– ابن كثير، إسماعيل. *تفسير القرآن العظيم*، دار طيبة، ١٩٩٩.

٥– ابن هشام، جمال الدين. *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*، تحقيق د. مازن المبارك، دار الفكر، ط٦، دمشق، ١٩٨٥.

٦– أنيس، د. إبراهيم: *علم الأصوات العربية*، ط٩، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٨.

٧– أوستن، جون. *كيف نصنع الأشياء بالكلمات، ترجمة عبد القادر قنيني، دار توبقال للنشر*، الدار البيضاء، ٢٠٠٢.

٨– بشر، د. كمال. *علم الأصوات*، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠.

٩– الجرجاني، عبد القاهر. *دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر*، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.

١٠– الزمخشري، محمود بن عمر. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٩.

١١– سيبويه. الكتاب، *تحقيق عبد السلام هارون*، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة، ٢٠٠٦.

١٢– سيرل، جون. أفعال الكلام: *بحث في فلسفة اللغة*، ترجمة عبد القادر قنيني، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٩٦.

١٣– سيرل، جون: *التعبير والمعنى*، ترجمة: حسن حنفي، دار التنوير، القاهرة، ٢٠١٠.

١٤– السيوطيّ، جلال الدين. *همع الهوامع في شرح جمع الجوامع*، تحقيق أحمد شمس الدين، منشورات دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٨٩.

١٥- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. *تاريخ الأمم والملوك*، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧.

١٦- الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)*، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الرياض، ٢٠٠١.

١٧- عمر، د. أحمد مختار. *دراسة الصوت اللغويّ*، عالم الكتب، ط٣، القاهرة، ١٩٩٧.

١٨- الغلاييني، مصطفى. *جامع الدروس العربية، راجعه ونقحه*: د. عبد المنعم خفاجة، المكتبة العصرية، ط١٦، بيروت، ١٩٨٣.

١٩- ليفينسون، ستيفن. التداولية، *ترجمة أحمد محمد عبد الخالق*، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٨٣.